

من أي الشعراء أنت؟

هل يمكن تشبيه الشاعر بغيره من المخلوقات في هذا الكون المليء بالجمال؟

إن جاز التشبيه...

فاسمحوا لي بتشبيه الشعراء بمجتمع الطيور على اختلاف طبائعها ووظائفها وتكوينها

التي فطرت عليه

ففي عوالم الطيور ما يحمل صفات لا يحملها غيرها وئمة ما يشترك به الجميع

فالطاووس

ينمو جسمه ويخترن من الشحم حتى يعجز عن الطيران

ولكن له ريشاً جميل التركيب يستعرضه بين الفينة والأخرى نافشاً هذا الريش يراه من

حواله فيعجبون منه ويقولون سبحان الله الصانع العظيم .

فإن عن هذا الطائر أن يتحدث سمعت له صوتاً منكراً لا يتحمل وقعه على أذنيه سليم

السمع والذوق وينتظر اللحظة التي يكف فيها هذا الطاووس عن التعبير.

وفي عالم الشعراء طاووسٌ يعجبك منظره - حين يستعرض حسنه - ولا يطربك صده

وفي مجتمع الطير:

غرابٌ لا يرضيك شكله ولا تسمع منه إلا نشازا تنفر منه كل الأذواق يتنقل بين المواطن

الكريهة لا تمنى لقاءه

وفي الشعراء غرابي الشكل والطبع لا يرضى فعله ولا قوله

أصلحه الله وهداه.

ومن طائفة الطيور طائر **البغاء**

لا ترى له ميزة إلا تقليد غيره فهو مكرراً للأصوات التي تعبر سمعه

فما يسمعك ما تنتجه ذاتته بل هو نسخة عن غيره من الفاعلين ثم تراه يقطع جزءاً صغيراً

لا يشكّل مقطوعة كاملة فيرده صباح مساءً ، فلا هو يفهمه ولا يحمله لغيره كاملاً

وفي مجتمع الشعراء من يشبه البغاء في هذا السلوك فلا تجد له ميزة صادرة عن ذاته ولكنه

صورة صغيرة لسواه.

وبين الطيور التي يتردد اسمها طائر **النسر**:

الذي يعلو حتى يتخير القمم العالية التي لا يصل إليها سواه فيجعلها موطناً ليس لسواه قدرة

الوصول إليه فإن أحس الجوع نزل إلى الوديان التي توفر له الصيد الذي يلحظه بعينين حاذقتين

يرى بهما ما لا يراه سواه فلا يخالط البغاث ولا يخفض همته ورفعته شأنه ،

وفي الشعراء نسورٌ تسموا فوق الأوحال وتعلو بمطامحها لتتخذ لها منزلاً عالياً.

ومن طائفة الطيور **صقر** كانت شيمته نسرية المذهب في الحياة فجاءه من أسرته بالمأكل
الوافر والمنزل الآمن فأصبح مملوكاً لسيد يرسله أذا شاء ليصطاد له فرائس لا تملك قدرة
الدفاع عن نفسها فينقض عليها سالبا منها نعمة الحياة وباعثا في نفس مالكه نشوة الظفر،
ولا ينال هذا الصقر الخادم من ضحيته إلا قطيراتٍ من دمها المسفوح دون أن تطرف لهذا
الصقرِ المأجور عيناه.

وهؤلاء هم الشعراء الذين اشتراهم سادة المال والسلطة حتى صاروا لهم أدواتٍ تتحرك
في دنيا المصالح والرغبات .

ويأبى طائر **البوم** أن لا نذكره في الحديث

فهو زعيم طائفة الواقفين على كل مصيبةٍ و كارثةٍ لا يحملُ في صوته المنقرِ إلا شؤماً ولا
يسعدُ بلقائه أحدٌ كأنه يذكرُك بالبلاء الذي لا تحبُّ أن تراه.

وكم في الشعراء من لا يجيدُ إلا إظهار الوجه المظلم في كل أمرٍ و يحملُ شعاره المحبب:
نفروا ولا تبشروا..

وهكذا تنوع أصناف الطيور و تتفاضلُ خصالها ومزاياها حتى نصل في عالم الطيور إلى

من يطربك صوته ويسعدك منظره

حتى لا تمل منه تأملاً واستماعاً

إنه **البلبل** الطليق المتحرك بين الخمائل إن مرّ بفنائك أقام عرساً من الفرحة والسرور ثم لا

يَمُنُّ عَلَيْكَ بِمَا حَمَلَهُ إِلَيْكَ مِنْ أُنْسٍ وَمَا بَنَى فِي رَوْحِكَ مِنْ جَمَالٍ بَلْ تَرَاهُ يَتَقَافَزُ بَيْنَ الْأَغْصَانِ
مَغْرَدًا مَبْتَهَجًا بِالْحَيَاةِ

تتمنى لو طالت هذه الزيارة وامتد زمانها.

فإن شكا الجوع بطن البلبل الصغير لم يفترس لبقائه من يصغره حجماً بل قنع بما يصل منقاره
إليه من حبيبات صغيرة تسد رمقه وتعطيه القوة اللازمة ليكمل مهمته في الغناء وإسعاد
الآخرين.

وفي الشعراء من يغرد كالبلبل في بيته ناشراً فيها الحسن والإمتاع
لا ينتظر حمداً ولا يسعى إلى شكور.

والفارق بين الطيور والشعراء:

ديمومة الطبع الذي يحمله الطائر بين جنبيه

وما يرتديه الشاعر من حلة قابلة للتغيير والتبديل رضي الشاعر لنفسه أن يتحلى بها من
بين الأوصاف التي تقدم بيانها ، فالشاعر بشرٌ يستطيع تدارك ما فيه من خصلة تحجبه عن
مراتب الكمال، وقد نجد اجتماع صفات في ذات الشاعر يطغى بعضها على بعض يظهر
فوحها وقد تخفى على من لا يعرف هذا المجتمع ولا يدرك مداه .

إنها توطئة للوصول إلى خصال الشاعر الذي يحمل بين جنبيه قلباً نابضاً بالمسؤولية

يستشعر ما أودعه المولى فيه من قدرة على إيصال الصوت ونقل الأفكار المرسومة بريشة

حروفه التي تزهرُ في وجدان المتلقين لتعيّره والمنظرين شذى وردة الذي زرعه فيه مجتمعٌ
تفاعل معه منصتاً له ومشجعاً وناصحاً ومسدداً

وفي بعض الأحيان قد يكون محيطاً ولأثماً ومنفراً في مواقف ولحظاتٍ يميّزُ فيها الشاعرُ -
الذي يحمل رسالته ويعي ما في حملها من لسعة شوك وطول مسافة ووحشة طريق ونكران
صديق - عن غيره ممن لا يريد سوى العسل المصفى سائغاً له دون الشاربين
من غير ما عناءٍ أو مشقة أو تعب.

وهنا أتساءلُ في حضرة أهل الفهم والأدب:

ألا يحمل الشاعر في بيئته رسالة ويؤدي وظيفة مفيدة؟

ألا يحسنُ بالشاعر الذي يرى ويسمع ما يحصل في أمته من نكبات ومحن وجراح أن يحمل
رسالة الطبيب الذي يسمع شكوى مريضه ثم يداويه ويشدُّ على يديه باعثاً في نفسه الأمل
والحياة

ثم يحتاجُ غيره حين تغلبه شجونه ويعلو صوتُ نجبه

فيستعين بأنفاس الحياة التي يستمدّها ممن يعيشُ هدوء دواخله وصفاءه ويأنس بغيره ممن
يملك الطاقة الإيجابية النافعة.

ألا ينبغي للشاعر أن يبني (مُدناً) يأوي إليها المتعبون الذين شققت قلوبهم بما في الواقع من

تناقضات

فيستروحون في جوار الشاعر ويسمعون همسه وتغريده فيزول ما ألم بهم من شجون ؟

نعم

إنها رسالة ومهمةٌ يتحمُّ على الشاعر أن يتقلدها

وكم تنظر عيوننا لما يحيط بنا دون أن تنبه إلى ما فيه من جمال ونعمة حتى يحدثنا عنه

بصير وواع لما في المحيط من جمال

وليس الشاعر وحده المقصود بهذا التصنيف إنما هو مثالٌ يجمع كل حالةٍ إبداعية قادرة

على التأثير في الآخرين.

{ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسُرَدُونَ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ

وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } التوبة 105

د عبد الله أبو الفضل الحسيني

محرم 1431 هجرية